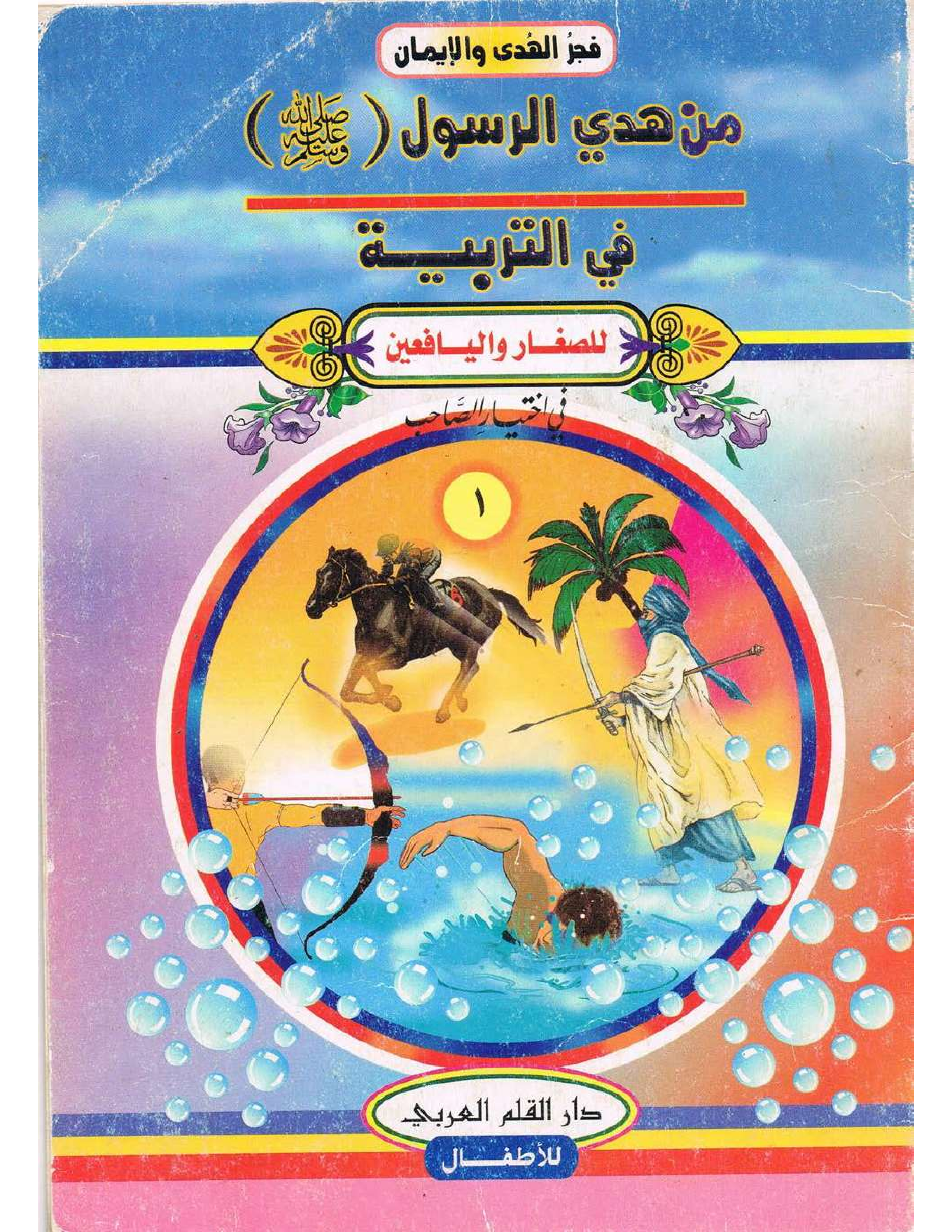


فجرُ الهُدى والإيمان
من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)
في التربية
للصغار واليافعين
في اختيار الصاحب
١
دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

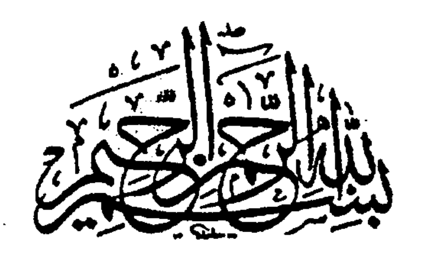
من هدي الرسول ﷺ في التربية

في اختيار الصاحب



إعداد
عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة و مشكولة

1421 هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب :78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

تَرْبِيَتُهُ ﷺ في اخْتِيَارِ الصَّاحِبِ

عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاتُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً، ولاَيَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ.

رَاوِي الحَدِيْثِ

هُوَ أَبُو سَعِيْدٍ الخُدرِيُّ، وَاسْمُهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ.

أَسْلَمَ صَغِيْرَاً في المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ وأَخَذَهُ أَبُوْهُ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهُوَ ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَدَّهُ لِصِغَرِ سِنِّهِ، ثُمَّ أَجَازَهُ في غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ.

كَانَ رضي الله عنه مِنَ الحُفَّاظِ المُكْثِرِيْنَ الرِّوَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ عَنْهُ الخَطِيْبُ: كَانَ مِنْ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ، وحَفِظَ حَدِيْثاً كَثِيْراً.

وقَالَ حَنْظَلَةُ بْنُ سُفْيَانَ عَنْ أَشْيَاخِهِ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَحْدَاثِ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَفْقَهَ مِنَ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ.

وعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ قَالَ: قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيْداً وَتَرَكَنَا بِغَيْرِ مَالٍ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ، فَحِيْنَ رَآنِي قَالَ: مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومَنْ يَتَعَفَّفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ.

تُوُفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ أَرْبَعٍ وسِتِّيْنَ لِلْهِجْرَةِ.

* * * * *

المَعْنَى العَامُّ

في هَذَا الحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ يَأْمُرُ النَّبِيُّ ﷺ بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الصَّاحِبِ المُؤْمِنِ التَّقِيِّ الَّذِي يَخْشَى اللهَ عَزَّ وجَلَّ، ويُحَافِظُ عَلَى مَصْلَحَةِ صَدِيْقِهِ، ويَغَارُ عَلَى شَرَفِهِ وعِرْضِهِ وسِيْرَتِهِ.

فَيَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً». أَي الَّذِي كَمُلَتْ بِهِ خِصَالُ المُؤْمِنِيْنَ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

أَيْضاً الَّذين اجْتَمَعَتْ فِيهِمْ صِفَاتُ المُؤْمِنِيْنَ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧

(١) الآيات (٢، ٣، ٤) من سورة الأنفال.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[١].

ولاَشَكَّ أَنَّ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيْهِ هَذِهِ الخِصَالُ الحَمِيْدَةُ كَانَ مُؤْمِناً كَامِلاً وجَدِيْرَاً بِأَنْ يُتَّخَذَ صَاحِباً، أَمِيْناً عَلَى الأَسْرَارِ فَلَمْ يُفْشِهَا، وعَلَى الأَمَانَةِ فَلَمْ يَخُنْهَا، وعَلَى الأَعْرَاضِ فَلَمْ يَنْتَهِكْهَا، فَإِنِ اتَّخَذْتَهُ صَدِيْقَاً انْعَكَسَتْ عَلَيْكَ خِصَالُهُ الحَمِيْدَةُ وتَأَثَّرْتَ بِهَا، ونِلْتَ مِنْهُ الخَيْرَ في دِيْنِكَ وأَخْلاَقِكَ واسْتِقَامَتِكَ وفي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ حَيَاتِكَ، وفي ذَلِكَ يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ: «المُؤْمِنُ كُلُّهُ مَنْفَعَةٌ: إِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ، وإِنْ شَارَكْتَهُ نَفَعَكَ وإِنْ ماشَيْتَهُ نَفَعَكَ فَأَمْرُهُ كُلُّهُ مَنْفَعَةٌ».

ويَقُوْلُ: «المَرْءُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ»[٢].

والخُلَّةُ: الصُّحْبَةُ.

وَيَقُوْلُ: «مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ إِنْ لَمْ

---

(١) الآيات(٢ ـ ١٠) من سورة المؤمنين.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ. ومَثَلُ الجَلِيْسِ السُّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيْرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنَ دُخَانِهِ»[1].

ويَقُوْلُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه: «عَلَيْكَ بِإِخْوانِ الصِّدقِ فَعِشْ في أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّهُمْ زِيْنَةٌ في الرَّخَاءِ، وعُدَّةٌ في البَلاَءِ، وضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَجِيْئَكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ، واعْتَزِلْ عَدُوَّكَ واحْذَرْ صَدِيْقَكَ إِلاَّ الأَمِيْنَ مِنَ القَوْمِ، ولاَ أَمِيْنَ إِلاَّ مَنْ خشِيَ اللهَ، فَلاَ تَصْحَبِ الفَاجِرَ فَتَتَعَلَّمَ مِنْ فُجُوْرِهِ، ولاَ تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ، واسْتَشِرْ في أَمْرِكَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَى».

وقَالَ آخَرُ لابْنِهِ حِيْنَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: «يَا بُنَيَّ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ، فَاصْحبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وإِنْ قَعَدَتْ بِكَ مَؤُوْنَةٌ مَانَكَ.[2]

اصْحَبْ: مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا.

اصْحَبْ : مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وإِذَا سَكَتَّ ابْتَدَاكَ، وإِنْ

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

(٢) مَانَهُ: اِحْتَمَلَ مَؤُوْنَتَهُ وقَامَ بِكِفَايَتِهِ.

نزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ وَاسَاكَ.

اصْحَبْ: مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وإِنْ حَاوَلْتُمَا أَمْراً أَمَرَكَ، وإِنْ تَنَازَعْتُمَا آثَرَكَ».

وقَالَ أَحَدُ الأُدبَاءِ: «لاَ تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَنْ يَكْتُمُ سِرَّكَ، ويَسْتُرُ عَيْبَكَ، فَيَكُونُ مَعَكَ في النَّوَائِبِ، ويُؤْثِرُكَ بالرَّغَائِبِ، ويَنْشُرُ حَسَنَتَكَ ويَطْوِي سَيِّئَتَكَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَلاَ تَصْحَبْ إِلاَّ نَفْسَكَ». وقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه:

إِنّ أَخَاكَ الحقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ

ومَنَ يَضرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

ومَنْ إذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ

شتَّتَ فِيْكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

وقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَصْحَبْ إلاَّ أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ شَيْئاً في أَمْرِ دِيْنِكَ فينْفَعَكَ، أَو رَجُلٍ تُعَلِّمُهُ شَيْئاً في أَمْرِ دِيْنِهِ فَيَقْبَلَ مِنْكَ، والثَّالِثُ فَاهْرُبْ مِنْهُ.

وحَسْبُنَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيْزَانِ المُؤْمِنِ

يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وإِنَّ اللهَ يَكْرَهُ الفَاحِشَ البَذِيْءَ، وإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّومِ والصَّلاةِ»[1].

وفي القُرْآنِ الكَرِيْمِ يُحَدِّثُنَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَنِ الصُّحْبَةِ في آيَاتٍ كَثِيْرَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾[4].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[5].

---

(١) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٣) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

(٤) الآيات (٥٠ ـ ٥٢) من سورة الصافات.

(٥) الآيتان ٦٧ ـ ٦٨ من سورة الأحزاب.

وقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٢).

وقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(٣).

في هَذِهِ الآيَةِ الأَخِيْرَةِ يُحَدِّثُنَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْ صَدِيقَيْنِ حَمِيْمَيْنِ اجْتَمَعَا عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى، وعَدَاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وكَرَاهِيَةِ الإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ.

جَاءَ في سَبَبِ النُّزُوْلِ أَنَّ هَذَيْنِ الصَّدِيقَيْنِ هُمَا عُقْبَةُ بْنُ أَبي مُعَيْطٍ، وأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَذَلِكَ أَنَّ عُقْبَةَ صَنَعَ يَوْماً طَعَاماً ودَعَا

---

(١) الآيات (٩٩ ـ ١٠٢) من سورة الشعراء.

(٢) الآيتان (١٦٦ ـ ١٦٧) من سورة البقرة.

(٣) الآيات (٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩) من سورة الفرقان.

إِلَيْهِ أَشْرَافَ مَكَّةَ، ودَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَبَى الرَّسُوْلُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ ويَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ حَتَّى يُسْلِمَ، فَأَسْلَمَ عُقْبَةُ ظَاهِرَاً فَقَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ دَعْوَتَهُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ، فَشَاهَدَهُ عَدُوُّ اللهِ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، فَقَالَ لِصَدِيْقِهِ عُقْبَةَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ صَبَأْتَ[1] ودَخَلْتَ في دِيْنِ مُحَمَّدٍ!

فَقَالَ عُقْبَةُ لاَ ولَكِنَّ رَجُلاً شَرِيْفَاً أَبَى أَنْ يَدْخُلَ بَيْتِي ويَأْكُلَ مِنْ طَعَامِي حَتَّى أَشْهَدَ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وأَدْخُلَ في دِيْنِهِ، فَشَهِدْتُ بِلِسَانِي وَلَمْ أُسْلِمْ مَعَهُ في الحَقِيْقَةِ.

فَقَال أُبَيٌّ: وَجْهِي عَنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تَلْقَ مُحَمَّدَاً فَتَبْصُقَ في وَجْهِهِ، فَانْطَلَقَ عُقْبَةُ يَبْحَثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَهُ سَاجِدَاً في البَيْتِ فَدَنَا مِنْهُ فَبصَقَ في وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بُصَاقُهُ عَلَى وَجْهِهِ فَاحْتَرَقَ فَقَالَ لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ:

لاَ أَرَاكَ خَارِجَ مَكَّةَ إِلاَّ عَلَوْتُ رأْسَكَ بِالسَّيْفِ.

وفي يَومِ بَدْرٍ أُسِرَ عُقْبَةُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَنَا عَلِيَّاً فَقَتَلَهُ.

وفي يَوْمِ أُحُدٍ الْتَقَى بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ فَقَتَلَهُ بِيَدِهِ مُبَارَزَةً.

---

(١) الصَّابِىءُ: الكَافِرُ.

وفي هَذَيْنِ الصَّدِيْقَيْنِ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ هَذِهِ الآيَاتِ الكَرِيْمَةَ وحُكْمُهَا عَامٌّ يَشْمَلُ كُلَّ صَدِيْقَيْنِ اجْتَمَعَا عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى.

وفي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «المَرْءُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

وفي الحَدِيْثِ الَّذِي جَعَلْتُهُ صَدْراً لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً ولاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ» أَيْ لاَ تُدْخِلْ بَيْتَكَ إِلاَّ مَنْ عَرَفْتَ أَخْلاَقَهُ ودِيْنَهُ وُسُلُوْكَهُ وتَأَكَّدْتَ مِنْ صِدْقِهِ وأَمَانَتِهِ وغَيْرَتِهِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ وشَرَفِكَ وعِرْضِكَ.

وإِذَا كَانَ الرَّسُوْلُ ﷺ يُوْصِيكَ بِاخْتِيَارِ الصَّاحِبِ المُؤْمِنِ، ويُحَذِّرُكَ مِنْ مُصَاحَبَةِ الفَاجِرِ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حِرْصِهِ ﷺ عَلَى شَرَفِكَ وعِرْضِكَ، وِحِمَايَةِ بيتِكَ مِنَ الخَرَابِ والدَّمَارِ، وَصَوْنِ شَرَفِكَ مِنْ أَنْ يَنَالَهُ السُّفَهَاءُ والأَشْرَارُ.

وفي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ مَالِكُ بْنُ دِيْنَارٍ: «لاَ تُثِيْرُوا الزَّنَابِيْرَ فَتَلْدَغَكُمْ، وَلاَ تُخَالِطُوا السُّفَهَاءَ فَيَفْتِنُوْكُمْ»، خَاصَّةً في هَذَا الزَّمَانِ الفَاسِدِ الَّذِي نَرَى ونَسْمَعُ فِيْهِ عَنِ الآثَارِ السَّيِّئَةِ النَّاتِجَةِ

عَنْ مُصَاحَبَةِ الأَشْرَارِ، فإِنَّهُ كَثِيْرَاً مَا يَحْدُثُ أَنْ يُصَاحِبَ إِنْسَانٌ إِنْسَاناً آخَرَ مِنْ أَجْلِ غَرَضٍ دَنِيْءٍ وغَيْرِ شَرِيْفٍ، فَقَدْ يَبْنِي مَعَهُ صَدَاقَةً مُزَيَّفَةً مِنْ أَجْلِ الوُصُولِ إِلَى هَدَفٍ دَنِيْءٍ... مِنْ أَجْلِ مَالِهِ، أَوْ مَرْكَزِهِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ زَوْجَتِهِ أَوْ أُخْتِه، أَوِ ابْنَتِهِ فَيَتَرَتَّبُ عَلَى هَذِهِ العَلاَقَةِ المُزَيَّفَةِ مِنَ النَّتَائِجِ المُؤْسِفَةِ مَالاَ يُحْمَدُ عُقْباهُ مِنْ فَضِيْحَةٍ وطَلاَقٍ، وهُمُومِ أُسْرَةٍ، وتَشْرِيْدِ أَطْفَالٍ أَبْرِيَاءَ.

فَمَا كَانَ أَغْنَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ لَوِ الْتَزَمُوا أَوَامِرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي كَانَتْ أَوَامِرُهُ ونَوَاهِيهُ سَدّاً لِذَرَائِعِ الفَسَادِ.

وهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ، ويَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ومَا تُعْلِنُونَ.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١).

وهُوَ القَائِلُ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) وآياتٌ أُخرى كَثِيْرَةٌ ذَكَرْتُ لَكَ بَعْضَاً مِنْهَا في الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ.

---

(١) الآية ١٤ من سورة الملك.

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

ويَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ مُبيِّناً فَضْلَ الصُّحْبَةِ الصَّادِقَةِ: «زَارَ رَجُلٌ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ[1] اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً في صُوْرَةِ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ قَالَ: أُرِيْدُ أَخاً لِي في هَذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللهِ عَزَّ وجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيْهِ»[2].

ويَقُوْلُ ﷺ: «ومَا تَحَابَّ اثْنَانِ في اللهِ إِلاَّ كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ أَشَدَّهُمَا حُبّاً لِصَاحِبِه».

ويَقُوْلُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّوْنَ بِجَلاَلِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي»[3].

ويَقُوْلُ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه في وَصِيَّةٍ جَامِعَةٍ لِوَلَدِهِ الْحَسَنِ رضي الله عنه: «يَابُنَيَّ خَفْ ثَلاَثاً: خَفِ اللهَ، وخَفْ مَنْ لايَخَافُ اللهَ، وخَفْ لِسَانَكَ فَإِنَّهُ عَدُوُّكَ عَلَى دِيْنِكَ يُؤْمِنْكَ اللهُ جَمِيْعَ مَا خِفْتَهُ».

---

(١) أَرْصَدَ: أَوْقَفَ، مَدْرَجَتُهُ: طَرِيْقُهُ، تَرُبُّهَا: تُصْلِحُهَا.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ويقُوْلُ النَّبيُّ ﷺ: «اِتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بَخُلُقٍ حَسَنٍ»[١].

وفي الخِتَام إِلَيْكَ هَذِهِ الأَبْيَاتَ الجَمِيْلَةَ الَّتِي تُحَذِّرُكَ مِنْ مُصَاحَبَةِ السُّفَهَاءِ والأَشْرَارِ:

ولاَتَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ
وإِيَّاكَ وإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى
حلِيْماً حِيْنَ آخَاهُ

يُقَاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ
إذَا مَاالمَرْءُ مَاشَاهُ

وَللشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ
مقَايِيْسٌ وَأَشْبَاهُ

ولِلْقَلْبِ عَلَى القَلْبِ
دلِيْلٌ حَيْثُ يَلْقَاهُ

---

(١) الحَدِيْثُ رَوَاهُ التِّرِمِذِيُّ.

فَنَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَهْدِيَنَا رُشْدَنَا، وأَنْ يَقِيَنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا، وأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ.

وأَنْ يُبْعِدَ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ، وأَنْ يَرْزُقَنَا مصُاحَبَةَ الأَخْيَارِ، واتِّبَاعَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وأَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ، ونَسْأَلُهُ عَزَّ وجَلَّ حُسْنَ الخِتَامِ، ونَعُوْذُ بِهِ مِنْ سُوْءِ العَاقِبَةِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ وآخِرُ دَعْوانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ والْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وإِلَى لِقَاءٍ مَعَ تَرْبِيَةٍ أُخْرَى

فجرُ الهُدى والإيمان

من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)

في التربية

للصغار واليافعين

من معين الأدب الذي لاينضب ، من سيرة المصطفى الذي قال : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ، ومن السلوك السوي ، والخلق الرضي ، والحياة الحافلة بالجمال والجلال .
نبسط إليك - أخي القارئ - أيدينا ، لتنهل من الينبوع الثرّ ، ولتعيش مع الصفوة المختارة التي سادت الدنيا بأدبها ، وتواضعها ، وتراحمها .
وهذه السلسلة تنظمها إلى جانب أخواتها دارُ القلم العربي ، التي حرصت وما تزال تحرص على رفد الناشئة بكل ما يفيد ، فاسعَ - أخي القارئ إلى اقتنائها ، لتكون زاداً ، ولتجد فيها الخير والخصال الحسنة .

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال